



## مقدمة:

إن المؤمن إذا زلت قدمه فاقتصر جرماً - وهو بطبيعته بشر يخطئ ويصيّب - سرعان ما يستيقظ ضميره، ويدفعه دفعاً حتى يذهب إلى يد العدالة من غير قرار من سلطان ولا إعلان من محكمة ولا حراسة من شرطي، فيعترف بالجريمة ويطلب العقوبة لنفسه تطهيراً من الذنب، ورجاء في أن تكون كفارة له عن ذنبه، وشفيعاً له إلى ربِّه، لا يمنعه من الاعتراف أن فيه جلد ظهره أو قطع يده أو إزهاق روحه.

والمجتمع - أي مجتمع - لا يرقى وينتظم ويسعد بسن القوانين، وإصدار القرارات وتنظيم اللوائح، ويقطة رجال السلطة - وإن كان لا يستغنى عن ذلك كلَّه - وإنما يرقى وينتظم ويسعد، بوجود القلوب الحية، وتوافر الضمائر اليقظة بين أبناءه. وفي خطبتنا هذه أمثلة تجسد الإيمان الذي كان في النفوس فدفعهم إلى تطهير أنفسهم في الدنيا مخافة من عذاب الآخرة.

### 1- الرضا بحكم الله عالمة إيمان:

إن الله ربط الإيمان به بالرضا بالاحتکام لشرعه عند التنازع، فقال تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59). [أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}].

فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. وقوله: {ذَلِكَ خَيْرٌ} أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله. والرجوع في فصل النزاع إلىهما خير {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} أي: وأحسن عاقبة ومالاً كما قاله السدي وغير واحد [ابن كثير: 345-346]. والله يقول: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكِّمْهُ إِلَيَّ اللَّهِ) (الشورى: 10)،

[فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهادا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال] [ابن كثير: 345-346]. ولذلك أقسم الله على عدم إيمان من لم يرض بتحكيم شرع الله فيما شجر من الأمور، فقال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: 65). وفي آيات عظيمة في سورة النور بيانها ساطع ويرهانها واضح تكشف نفسيات أهل النفاق وتفضحهم فلا أحد أعلم بهم من حالهم، كما وتكتشف عن دواخل أهل الإيمان المذعنين لحكم الله ورسوله،

يقول تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَنْوَلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ \* وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفَيْ قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَبْخَشَ اللَّهَ وَيَنْقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (النور: 46-52).

عنصر الإيمان إذا دخل المعركة أطفأ لهب الخصومة، فصارت نارها بردًا وسلامًا، وحطم طغيان الأنانية فاستحال تسامحًا وإيثارًا، وحلق بالمؤمن من المتع الأدنى إلى المثل الأعلى.

في القصة التي روتها أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم مثل واضح على مبلغ أثر الإيمان: رجلان يختصمان في مواريث وليس لهما بينة إلا دعواها، كلاهما يقول: هذا حقي، وينكر على صاحبه أن يكون له حق .. ويحتم الرجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صدر كل منهما فرديته وأنانيته، فيتصدع الرسول صلى الله عليه وسلم آذانهما وقلبيهما بهذه الكلمات الحية: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنْكُمْ تَخْتَصِّمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنْ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِي مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحُقْقِ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذُهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قَطْعَةً مِنَ النَّارِ) (صحيح البخاري)

سمع الرجال المختصمان هذه الكلمات الهادرة، فلمست أوتار الإيمان من صدريهما، وأيقظت فيهما خشية الله والدار الآخرة، فبكى الرجال، وقال كل منهما لصاحبه: حقي لك!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَمَا إِذْ فَعَلْتُمَا مَا فَعَلْتُمَا فَاقْتَسِمُوا وَتَوَكِّلُوا عَلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَهْمُوا ثُمَّ تَحَالُوا) (أي ليحل كل منكما صاحبه وليس مسامحه فيما عسى أن يكون حقه). (أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما، وحسن الألباني في إرواء الغليل برقم/ 1423)، وقوله صلى الله عليه وسلم: **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ... إِلَى قَوْلِهِ مِنَ النَّارِ**، (رواوه البخاري ومسلم).

### 3- الاعتراف بالذنب والجريمة:

#### - الاعتراف بالخيانة:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال: 27).

نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثهُ الرسول صلى الله عليه وسلم إلىبني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشار اليهود أبو لبابة - وكان حليفاً لهم - فأشار عليهم بالنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه أشار بيده إلى حلقه، أي أنه الذبح.

ثم شعر أنه خان الله ورسوله، فربط نفسه في سارية المسجد تسعة أيام لا يذوق طعاماً حتى تاب الله عليه، فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

#### - الاعتراف بالزنا:

• عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَا أَطَهَرْتُكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزَّنِي، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِيهِ جُنُونٌ؟» فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشَرَبَ حَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ حَمْرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزَّيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرْجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوَيْنَ أَفْضَلَ مِنْ تَوَيْنَ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَابَ تَوَيْنَ لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سَعَتُهُمْ» (رواوه مسلم/ 1695).

#### المرأة الغامدية:

وهذه امرأة أغربية تعرف بالغامدية، تزني ويضطرب في أحشائها جنين من الزنا، ف يأتي عليها ضميرها المؤمن - وقد ارتكبت الفاحشة سرًا - إلا أن تقطهر منها جهاراً.

وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له: إني قد زنيت فطهرني؟ فيردها الرسول صلى الله عليه وسلم فتأتي في الغد فتقول: يا رسول الله .. لم تردني؟ لعلك أن تردني كما ردت ماعزاً .. فو الله إني لحبل!!  
فيقول لها: **أما لا .. فاذهبي حتى تلدي.**

وتذهب المرأة تنتظر الوضع، وتمضي عليها الأيام والأشهر دون أن تخبو جذوة ضمیرها. فما أن ولدت حتى أتت بالصبي في خرقة، وقالت للرسول صلى الله عليه وسلم: ها قد ولدته.  
قال لها: **فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه.**

وتعود المرأة إلى دارها ترضع ولدتها، وتمضي مدة الرضاع - وهي في العادة حولان كاملاً - أربعة وعشرون شهراً لم يستطع اختلاف الليل والنهار فيها أن ينسى المرأة ما ارتكبت من خطيئة.

وبغير إعلان من محكمة، ولا تنبهه من حاكم، ولا حراسة من شرطي ترجع المرأة إلى رسول الله طائعة مختارة، لتلقى مصيرها الذي رضيته لنفسها فتقديم إليه الصبي وفي يده كسرة من الخبز، وتقول: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام. ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم بدأً بعد هذا أن أمر بها، فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها. فأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد، فسبها .. فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه إياها .. فقال: **(مَهْلَا يَا خَالِدَ، فَوْ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوْ سِعْتُهُمْ . وَهُلْ وَجَدْتُ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى ؟)** . (القصة رواها مسلم/1695).

#### الاعتراف بالذنب والصبر على حكم الله:

- عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت امراً قد أوتت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي مخافة أن أصيب منها شيئاً في بعض الليل، فاتتابع في ذلك، فلا أستطيع أن أنزع حتى يدركني الصبح، فبينما هي ذات ليلة تخدمني إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوات على قومي، فأخبرتهم خيري، فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلأخبره قالوا: لا، والله لا نذهب معك نخاف أن ينزل علينا قرآن أو يقول علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها، فاذهب أنت واصنع ما بدا لك، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته خيري قال: **«أَنْتَ بِذَاكَ؟** قال: **أَنَا بِذَاكَ، وَهَا أَنَا ذَا فَامض فِي حِكْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا صَابَ رَجُلًا مُحْتَسِبًا** قال: **«أَعْتَقْ رَقْبَةً»** ... إلى آخر الحديث (قال الألباني: حديث صحيح ورجاله موثقون وهو مخرج في الإرواء: 2091)

• عن ابن مسعود، أنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةً قُبْلَةً، فَاتَّبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُنَّ السَّيِّئَاتِ) (هود: 114) **فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلُّهُمْ»** (رواه البخاري 526 و مسلم/2763).

#### 4- الرضي بحكم القاضي ولو كان الحق لك

وعن الشعبي قال: وجد على بن أبي طالب درعاً عنة رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه قال فجاء على حتى جلس إلى جنب شريح قال يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه ولكنه نصراني وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِذَا كُنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطُرُوْهُمْ إِلَى مَضَايِقِهِ وَصَفِرُوْهُمْ كَمَا صَفَرَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطْعُنُوْنَا)** ثم قال: هذا الدرب درعي ولم أبع ولما أهبه فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرب إلا درعي، وما أمير المؤمنين عيني بكانب فالتقت شريح إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقال له: هل من بيته فضحك على رضي الله عنه، وقال أصباب شريح مالي فقضى شريح بها للنصراني.

قال فأخذته النصراني ومشى خطأ ثم رجع فقال أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدبني إلى فاضيه يقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبد ورسوله، الدرب عبدك يا أمير المؤمنين، أتبعت الجيش وأنت

مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِينَ فَخَرَجَتْ مِنْ بَعْدِكَ الْأُورَقِ فَقَالَ أَمَا إِذَا أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ. (من كتاب موارد الظمان لدروس الزمان /40).

##### 5- تنفيذ الحد رحمة للجاني، وكفارة لذنبه:

إن المجتمع الذي يشفع في حدود الله مجتمع ظالم، والمجتمع الذي لا يعين على تطبيق شرع الله مجتمع ظالم، والمجتمع الذي يرى الظالم والسارق والقاتل وقاطع الطريق ثم لا يأخذ على أيديهم مجتمع ظالم.

ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب يوم أن شفع أسامة بن زيد في المرأة التي سرقت لأنها كانت شريفة في قومها (**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!**) (البخاري /3475، ومسلم /1315).

ألا ليت الناس يعلمون أن عذاب الدنيا أهون من عذاب النار يوم القيمة.

ما بال بعض الناس تثور ثائرتهم، وتنتفخ أوداجهم، ويؤلبون بعضهم عند تنفيذ حكم على مجرم أو مذنب؟ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْ شَكُّ أَنْ يَعْمَمُهُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ**) (صحيف الجامع /1971).

إنه مهما بلغ المذنب من الوجاهة والكرامة في عشيرته أو في سلطانه أو في ماله أو في قوته؛ فإن حكم الله يشتمل، (لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدًّا.) (البخاري /3475، ومسلم /1315).

يقول رب العزة سبحانه: (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) (النساء: 65)

لا يستقيم لك إيمان إلا إذا حكمت شرع الله فيما شجر بينك وبين إخوانك، بل وحتى لا تجد حرجاً في نفسك مما قضي في حرك، ولو كان الحكم صاراً بك في الدنيا، فإنه مطهّر لك يوم القيمة.

بل حري بك أن تذهب أنت وتشهد على نفسك أمام القضاء فيما افترفته يدك! نعم تذهب أنت وتشهد على نفسك وتُقرُّ بجرائمك، تطبيقاً لأمر الله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: 135).

وقوله : (**فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا**) أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية، على ترك العدل، لذلك هددهم في ختام الآية بقوله: (**فَإِنْ تَلُوْوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**).

وان أي إنسان لا تنفع معه كل وسائل الوعظ والتوجيه، وكل عوامل الارتفاع الموجدة في مجتمع الإيمان لا يستحق أي رحمة أو شفقة، فكما أن الإنسان يرضى عن طوعية أن يستأصل العضو الفاسد من جسده خشية من تسرُّب الفساد إلى أعضاء الجسد الأخرى إن أبقاه، فكذلك توقيع العقوبة على المجرمين.

##### تطبيق الحد على الجاني كفارة لذنبه:

في صحيح مسلم عندما جاءت الغامدية إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ زَيْنَتْ فَطَهْرَنِي..**) (مسلم /1695).

جاءت تطلب الطهارة من الذنب في الدنيا؛ لأنها تعلم أنه مهما كانت العقوبة شديدة في الدنيا فإنها أهون من عذاب الله يوم القيمة.

يرى جمهور الفقهاء أن الحد المقدر في ذنب يكون كفارة لذلك الذنب، لما ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: (**كَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، قَالَ: تَبَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنِوْا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا**

قتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوّقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه). متفق عليه.

جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحدود كفارات ومطهرات لمن افترف هذه الكبائر، ومن ستره الله ولم تقم عليه هذه الحدود، ولم يتبع فأمره مفوض لربه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِلَيْهَا عَظِيمًا)** (النساء: 48).

وعند الحنفية: الحد غير مطهر، بل المطهر التوبة، فإذا حد ولم يتبع يبقى عليه إثم المعصية عندهم، وإن تاب وأقيمت عليه الحد فإنه ينجو من عذاب ذلك الذنب الذي افترفه.

إذا ما زلت قدم إنسان أو جماعة بجريمة مهما عظمت، فإن الشريعة المطهرة تفتح أمامهم ضياء مملوءاً بالأمل المُشرِّق و بالحياة النظيفة السليمة البعيدة عن الجرائم، ذلك الضياء هو التوبة، فإن عادوا فرح الله بتوبيتهم فرحاً شديداً أشد من فرح من ضللت عنه ناقته وهو في الصحراء، وعليها طعامه وشرابه ثم وجدها، **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)** (البقرة: 222).

المصادر: